

## الأمثال القرآنية وأهدافها

د. محمد زكريا الأزهرى

الأمثال: جمع مثل، والمثل والمثّل والمثيل كالشبه والشبه والشبيه. والمثل: قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ومضاهاة، والغرض منه إبراز المعقول في صورة مجسمة وإلباس المعنوي ثوب المحسوس وتفصيل المجمل وإيضاح المبهم. (١)

قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه.

وقد يطلق المثل ويراد به الصفة الموضحة الكاشفة عن الحقيقة أو الحالة كقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ (الرعد: ٣٥) أي صفتها. (٢)

وقد يراد بها النظير كما في قوله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ (يس: ٧٨) أي ضرب لنا ذلك المنكر نظيراً من الخلق قاس قدرتنا على قدرته.

وقد يراد به العظة والعبرة، كقوله تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾ (زخرف: ٥٦)

وقد يراد به الأمر العجيب أو الآية، كقوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل﴾ (زخرف: ٥٩)

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن هناك كلمات في العربية تبدو كأنها تعدل كلمة المثل في المعنى، ولكن التعمق في هذه الكلمات يبين لنا أنها لا تساويه كلياً، فلفظة "الند"

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢، ص ٧٢.

(٢) انظر: لسان العرب في مادة مثل، ص: ٦١١.

يقال فيما يشارك في الجوهر فقط (١)، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط (٢) وأما الشكل فإنه يقال فيما يشارك في القدر والمساحة فقط، والمثل عام في جميع ذلك.

فالقُرآن الكريم حينما أراد أن ينفي التشبيه عن المولى عز وجل من كل وجه قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١)، فالتعبير أعم وأشمل لكل معاني المشاركة.

ولا شك أن للبشر ضروبا وألوانا من النفسيات يتباين ويتغير بعضها عن بعض فهناك نفس خيرة طيبة، ونفس هشة ضعيفة، وثالثة كافرة فاجرة، وأخرى مارقة ماجنة، يقدم القرآن لكل هذه النفوس علاجا خاصا، بمعيار وقدر.

فالنفوس الخيرة المؤمنة تصغي إلى صوت الايمان والحق، فتستجيب له وتهتدي وتزيدها الدعوة استمساكا بعقيدتها، وإيمانا على إيمانها، وتثبتا لمبادئها وتقريرا لمفاهيمها، هذه النفوس يربيه القرآن تربية خاصة، تربية مثالية قوية تتواءم مع طبيعتها. والنفوس الهشة الضعيفة الإيمان يقوِّها ويثبتها القرآن بكلماته البالغة وأمثاله الرائعة وتوجيهاته الرشيدة فتتفعل وتنمو وتزدهر وتقوى وتؤتي ثمارها بإذن ربها.

من أجل هذا جاءت الأمثال القرآنية في صور وأشكال متنوعة تناولت مجالات عدة لتغري النفس البشرية على الخير، وتحثها على البر والتقوى، أو تمنعها من الإثم أو تدفعها إلى الفضيلة، فمرة مثَّلت الإيمان، وأخرى مثَّلت الكفر والغواية، وحينما صورت الطيب والخبيث، وشبَّهت الصالح والطالح، وفصحت النفاق والمنافقين، وحضت على الانفاق، وأشادت بالمحسنين حينما آخر.

لقد غاظ المعاندين والجاحدين هذا اللون من التربية الإلهية، واستنكروا أن يضرب الله الأمثال وزعموا أن الله أعلى من ذلك وأجل واعترضوا عليه متعجبين من أي قيمة للبعوضة والذباب حتى يضرب الله الأمثال، فيرد عليهم القرآن ردا عنيفا بأن المولى

(١) انظر: حاشية القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: ٤١١.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١١، ص ٦١٠.

سبحانه لا يرى من النقص ولا يستحي أن يضرب للهدى والدعوة إلى دين الحق مثلاً بالبعوضة وما فوقها، فالمؤمنون المتقون يزيدهم هذا المثل إيماناً وتقياً واستمساكاً بأحكام الشريعة الغراء، وأما الذين في قلوبهم مرض من المنافقين والفاسقين فيزيدهم ضلالاً إلى ضلالهم، لتكذيبهم بما علموه حقاً يقينا من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يَضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

ويقول العلامة أبو السعود في تفسيره "التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامع الأبي، كيف لا؟ وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبرازها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف. (١)

قال النظام: يجتمع في المثل أربع لا يجتمع في غيره: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة. (٢)

وأمثال القرآن الكريم لها قسمان: (١) ظاهر مصرح به، (٢) وكامن لا ذكر للمثل فيه. أما أمثاله الظاهرة فتمثيله الحق والباطل، والحكمة وضدها، وتمثيل حال الكفار وما يعبدون من دون الله، وأن الدنيا ظل زائل وخيال باطل في أكثر من سورة: مثل سورة الرعد وإبراهيم والعنكبوت والنور والحديد.

أما أمثاله الكامنة فهي الآداب البارة والحكم الباهرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣)  
﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ (الأنعام: ٦٧)

(١) تفسير أبي السعود ج ١ ص ٥٠.

(٢) انظر حاشية الشهاب على تفسير البياضوي، ص ٣٦٤.

﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (المؤمنون: ٥٣)

﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ (الاسراء: ٨٤)

وغيرها من الأمثال.

### ولله المثل الأعلى:

إن جميع صفات الجلال والجمال والكمال التي صورها القرآن الكريم في محكم آياته مسندة لله وحده لا شريك له، لذا لا يجوز لنا بحال من الأحوال أن نصفه بما يوصف به البشر إلا بما وصف به نفسه، كما لا يجوز لنا أن نضرب له الأمثال، فقال: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فهو يضرب لنفسه الأمثال لأنه يعلم ونحن لا نعلم وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير.

يقول ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ (النحل: ٧٤) أي فلا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه به.

والإمام الطبري يقول: فلا تمثلوا لله الأمثال وتشبهوا له الأشباه فإنه لا مثيل له ولا شبيهه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (١)

فالأمثال القرآنية صور ونماذج حسية ملموسة ذكرت لإبراز ما غاب عن الأسماع والأبصار، حتى تهتدي النفوس بما تدركه عيانا، وذلك فضل الله على عباده الذين كانوا محتاجين إليها، فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالما ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون﴾ (الحشر: ٢١).

